التعددية الفكرية والحوار
في المجتمع المسلم

أ.د/ محمد عبد الغفار الشريف
الأمين العام للأوقاف بدولة الكويت
والعميد السابق لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت
وأستاذ الفقه وأصوله

التعددية الفكرية والحوار في المجتمع المسلم

بسم ا الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على أنبياء ا وجميع المرسلين، وأخص خاتمهم محمداً بأزكى الصلاة وأتم التسليم وبعد.

فإن الإسلام دعا أتباعه إلى الحوار بالحسنى ، ومجادلة الآخرين بالأدب ، فقال ا – تعالى – (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[(١)] وقال ا عز وجل (ولا تجادلو أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) [(٢)].

والملاحظ أن القرآن الكريم لم يرتض لأتباعه المنهج الحسن في الحوار، بل المنهج الأحسن

يقول الإمام القشيري رحمه ا ينبغي أن يكون منك للخصم تبيين وفي خطابك تليين، وفي قبول الحق إنصاف، واعتقاد النصرة –لما رآن صحيحا– بالحجة، وترك الميل إلى الشيء بالهوى[(٣)].

ويقول العلامة ابن عجيبة الحسنى –رحمه ا – التي هي احسن، أي الطف أرفق، وهي مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح، بأن تدعوه إلى ا برفق ولين،وتبين له الحجج والآيات من غير مغالبة ولا قهر[(٤)].

بل طلب القرآن الكريم من المسلمين أن يكون هذا منهجهم في حوارهم وحديثهم كله مع الآخر، يقول ا –تعالى– (وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ،إن الشيطان ينزغ بينهم ، إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً)[(٥)].

([1]) النحل آية ١٢٥
([2]) العنكبوت آية ٤٦
([3]) لطائف الإشارات ١٠٠/٣
([4]) البحر المديد ٣١٧/٥
([5]) الإسراء الآية ٥٣

يقول العلامة ابن عجيبة –رحمه الله– من أوصاف أولياء الله أنهم هينون لينون كلفّة الحرير، لا ينطقون إلا بالكلام الأحسن، ولا يفعلون إلا ما هو أحسن، ويفرحون ولا يحزنون، وينبسطون ولا ينقبضون، من رأوه مقبوضاً بسطوه، ومن رأوه حزيناً فرحوه، ومن رأوه جاهلًا أرشدوه بالتي هي أحسن، وهم متفاوتون في هذا الأمر، يفضل بعضهم على بعض في الأخلاق والولاية ، فكل من زاد في الأخلاق الحسنة زاد تفضيله عند الله وفي الحديث (إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم النهار ، القائم الليل)[٦].

والسب في ذلك أن دين الله جاء للناس كافة والناس يختلفون في أذواقهم وآرائهم، تبعاً لاختلاف بيئاتهم ونشأتهم.

١. الاختلاف سنة ربانية :-

يقرر القرآن الكريم أن الخلاف بين الناس سنة ربانية جبلوا عليها ، يقول تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله ، ولذلك خلقهم)[٧].

قال الشاطبي –رحمه الله– فأخبر سبحانه انهم لا يزالون مختلفين أبداً، مع انه قد خلقهم للاختلاف، وهو قول جماعة من المفسرين.

قال مالك –رحمه الله– خلقهم ليكونوا فريقا في الجنة ، وفريقا في السعير[٨] فالضمير في (خلقهم) عائد على الناس، فلا يمكن ان يقع منهم إلا ما سبق في العلم، وليس المراد –هنا– الاختلاف في الصور والألوان والأشكال، إنما المراد الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد الإنسان به أو يشقى في الدنيا والآخرة، ويوضح ذلك قوله تعالى: "كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم"[٩].

---

(6) البحر المديد ١٠١/٤ بتصرف يسير ، والحديث رواه احمد في المسند ١٣٣/٦ ، والحاكم في المستدرك ٦٠/١
(7) هود أية ١٨٨
(8) الاعتصام ١٦٥/٢ ، [ابن كثير ٤٦٥/٢ ، البغوي ٢٥٩/٣]
(9) البقرة آية ٢١٣

وهذا هو المراد من الآيات التي كرر فيها الاختلاف الحاصل بين الخلق[(١٠)].

٢. الانطلاق من القضايا المشتركة:

حاول الإسلام بشتى الوسائل الانطلاق في حواره مع الآخر من أرضية مشتركة يتفقان عليها ، يقول تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا بينكم ألا نعبد إلا ا ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دن ا ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[(١١)].

قال الأستاذ الإمام محمد عبده –رحمه ا – المعنى أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه واحد، وهو خالقه ومدبره، وهو الذي يعرفنا على السنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه. فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها ورفض الشبهات التي تعرض لها، حتى إذا سلّمنا أن فيما جاءكم من نبأ المسيح شيئاً فيه لفظ ابن ا خرجناه جميعا على وجه لا ينقض الأصل الثابت العام الذي اتفق عليه الأنبياء،فإن سلّمنا ان المسيح قال إنه ابن ا ، قلنا: هل فسر هذا القول بأنه إله يعبد؟ وهل دعا إلى عبادته وعبادة أمه أم كان يدعوا إلى عبادة ا وحده؟ لا شك أنكم متفقون معنا على انه كان يدعو إلى عبادة ا وحده والإخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأول[(١٢)].

ولم ينهج هذا النهج مع أهل الكتاب فقط ، بل مع كل الأديان السماوية وغيرها ، فقال رسول ا ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[(١٣)].

قال المناوي –رحمه ا – الأنبياء بعثوا بمكارم الأخلاق، وبقيت بقية فبعثت بما كان معهم وبتمامها، أو أنها تفرقت فيهم فأمر بجمعها لتخلقه بالصفات الإلهية قال بعضهم: والمعرفة في مكارم الأخلاق وطهارة القلب، فمن نال ذلك وصل إلى الرب، وإذا وصل دان له الخلق[(١٤)].

([10]) انظر الاعتصام ١٦٥/٢
([11]) آل عمران آية ٦٤
([12]) تفسير المنار ٢٦٨/٣
([13]) رواه احمد في المسند ٣٨١/٢ ، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد رقم ١٣٦٨٣)
([14]) التيسير للمناوي ٤٥/٢

وقال رسول ا ﷺ (شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام ، فما احب أني لي حمر النعم وأني أنكثه)[١٥].

قال المناوي رحمه ا : أي ما يسرني أن يكون لي الإبل الحمر ، وهي أعز أموال العرب وأكرمها وأعظمها والحال أني انقضه.

وأصل ذلك اجتمع بنو هاشم وزهرة وتيم في در ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيبا في جفنه وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فسموا المطيبين.[١٦]

٣. تجنب استثارة مشاعر العداء لدى الآخر:-

قل رسول ا ﷺ (لا يقولن أحدكم إني خير من يونس)[١٧]

وجاء في حديث آخر للبخاري[١٨] عن أبي هريرة –رضي ا عنه– قال (بينما يهودي يعرض سلعته، أعطى بها شيئاً كرهه، فقال: لا، والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فقام فلطم وجهه وقال : تقول ، والذي اصطفى موسى على البشر، والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رأى في وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين أولياء ا . فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء ا ، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقة يوم الطور، أم بعث قبلي). وإنما نهى النبي ﷺ عن ذلك.

- ليعلم أمته الأدب والتواضع، وحسن التعامل مع الناس، وإن تعلق التخاصم بأمر من أمور العقيدة.

---

(15) قال الهيثمي : رواه احمد وأبو يعلى والبزار ، ورجال حديث عبد الرحمن بن عوف رجال الصحيح ، وكذا مرسل الزهري (مجمع الزوائد رقم ١٣٥٨٢)

(16) فيض القدير ٦٤/٤- التيسير ١٢٢/٤

(17) رواه البخاري رقم ٣٢٣١

(18) رواه البخاري رقم ٣٤١٤

- لأن مثل هذا التفضيل يؤدي إلى الجور، وانتقاص الآخرين قدرهم، وقد يكون فيهم أصحاب فضل ودرجة، مثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- لما في التفضيل والمقارنة من استثارة الآخرين، وإثارة عصبيتهم، وفي ذلك ما فيه من إثارة الفتن.[١٩]

بل نرى الإسلام لا يرتضى لأتباعه أن يتعدوا بالسب على آلهة المشركين، يقول ا تعالى – (ولا تسبوا الذين يدعون من دون ا فيسبوا ا عدواً بغير علم) [٢٠]

نهى ا تعالى –في هذه الآية الكريمة المؤمنين عن سب أوثان المشركين، لأن ذلك يؤدي إلى استثارة عصبيتهم فيسبون ا بغير علم وينفرون من دعاة التوحيد [٢١]

٤. الحوار العقلي والعلمي:

يقول ا تعالى "ادع إلى سبل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" [٢٢]

قال المفسرون: الحكمة المقالة المحكمة الصحيحة، والحجج القطعية المفيدة لليقين، ولا يكون ذلك إلا باعتماد القواعد ا لعقلية المتفق عليها بين الناس، والشواهد الكونية العلمية المحسوسة [٢٣]

ولذا نرى القرآن لما دعا الناس إلى التوحيد لجأ في دعوته إلى الحجج العقلية والدلائل العلمية.

يقول تعالى "أم اتخذوا آلهة من لأرض هم ينشرون، لو كان فيهما آلهة إلا ا لفسدتا، فسبحان ا رب العرش عما يصفون" [٢٤]

---

(19) الفتح الرباني ٣٦/٢٠

(20) الأنعام آية ١٠٨

(21) انظر تفسير القرطبي ٤١/٧

(22) النحل آية ٢٥

(23) فتح القدير للشوكني وبتصرف ٢٠٣/٣

(24) الأنبياء الآيتان ٢١ ، ٢٢

يقول المفسرون: في الآية دليل على برهان التمانع العقلي الذي يحتج به علماء العقائد وذلك أنّا لو فرضنا الهين، فأرد أحدهما شيئا وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل منهما، وذلك محال لاستحالة الجمع بين النقيضين في الزمان والمكان الواحد وهذه قاعدة عقلية متفق عليها –وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر فيكون الأول الذي تنفذ إرادته هو الإله، والثاني عاجز فلا يصلح أن يكون إلها.

فا تعالى جمع في الآية السابقة بين البرهان العقلي المتفق عليه والبرهان العلمي المشاهد، فهو يخاطب المشركين بما يلي:-

١- هل يستطيع إلهكم إحياء الموتى؟ وهو استفهام إنكاري، مبني على معلومات ضرورية.

٢- انظروا إلى الكون هل ترون فيه اختلافاً، أو فساداً في نظامه؟ وهو لفت لأنظارهم للتفكر في ملكوت الأرض.

ألا يدلكم ذلك على وحدانية ا تعالى[٢٥].

وهذا مثل قوله تعالى "ما اتخذ ا من ولد، وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان ا عما يصفون" [٢٦].

ولذا اكثر القرآن الكريم من دعوة أتباعه للاستفادة من كتاب الكون المنظور،كما يستفيدون من كتاب ا المسطور قال تعالى: "إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل ا من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون" [٢٧].

([25]) انظر [فتح القدير ٤٠٢/٣، صفوة التفاسير ٢٥٨/٢]

([26]) المؤمنون آية ٩١

([27]) البقرة آية ١٦٤

بل دعاهم إلى الاستفادة من الدروس التاريخية للاعتبار بعاقبة الظلمة والمتكبرين، يقول تعالى:"أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كي كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون"[٢٨].

وضرب لهم أمثلة عملية من أصحاب السلطة كفرعون والنمرود وغيرهما، ومن أصحاب المال والجاه كقارون والوليد بن المغيرة وغيرهما حتى تكون هذه الدروس عظة وعبرة لهم على مر الأيام.

١. التعاون في المتفق عليه:-

يقول –تعالى– "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند ا أتقاكم، إن ا عليم خبير"[٢٩].

ولذلك سعى نبي الإسلام عليه افضل الصلاة والسلام منذ ان كون دولته في المدينة المنورة إلى التعاون مع سكان المدينة من اليهود جاء في وثيقة المدينة المنورة، والتي تعتبر أول دستور للدولة الإسلامية: "إن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، غلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغُ[٣٠] إلا نفسيه وأهل بيته. وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وان ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وإن البر دون الإثم[٣١] وان موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ وأنه لا ينحجز على ثأر جرح وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم وإن ا على أبر هذا[٣٢] وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم

---

(28) غافر آية ٨٢
(29) الحجرات آية ١٣
(30) يوتغ : يهلك
(31) أي ان البرد والوفاء ينبغي ان يكون حاجزا عن الإثم
(32) أي ان الله وحزبه المؤمنين على الرضى به

وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبرد دون الإثم. وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا إثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى ا عز وجل والى محمد ﷺ وإن ا على ما اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، إذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة وإن البرد دون الإثم، لا يكسب كاسب على نفس، وإن ا على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرهن، وإنه لا يحول هذا الكتاب دوم ظالم أو آثم. وإنه من خرج آمن و من قعد آمن بالمدينة، غلا من ظلم وأثم، وإن ا جار لمن بر واتقى ومحمد رسول ا ﷺ.

إن هذه المعاهدة تحتوي على خمسة أمور رئيسية:-

١- اعتبار اليهود مواطنين في الدولة الإسلامية، لهم حريتهم الدينية، تحميهم الدولة وتدافع عنهم.

٢- على اليهود أن يساندوا الدولة الإسلامية في رد العدوان عنها.

٣- على اليهود النصح للدولة الإسلامية، فلا يتأمرون عليها ولا يخفون نبأ من يعلمون منه الكيد للدولة الإسلامية.

٤- تفرض الإقامة الجبرية على اليهود ولا يجز مغادرة أماكنهم إلا بإذن من الدولة الإسلامية.

٥- السيادة للدولة الإسلامية، واليها يرجع اليهود في فصل الخصومات التي تنشب بينهم وبين المسلمين.[٣٣].

وقد آثرت أن أورد ما يخص اليهود من وثيقة المدينة بنصها دون تصرف لنرى مدى حرص الإسلام على التعاون مع الآخرين وما حصل بعد ذلك من إيقاع العقوبة باليهود إنما جراء ما ارتكبوه من مخالفة للعهد بينهم وبين المسلمين[٣٤].

وحدد القرآن معياراً للتعاون "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"[٣٥] فالتعاون يكون في سبيل الخير والرشاد، ولا تعاون في العدوان والظلم والمعاصي.

٦ – التسامح في المختلف فيه:-

وأكبر دليل على تسامح الإسلام مع أصحاب الديانات الأخرى، قوله تعالى في محكم تنزيله "لا إكراه في الدين"[٣٦].

قال ابن عباس –رضي ا عنهما– نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلما ،فقال للنبي ﷺ: ألا استكرهما فإنهما قد أبيا إلا النصراينة؟ فأنزل ا الآية.

وفي بعض التفاسير أنه حاول إكراههما فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال يا رسول ا أيدخل بعضي النار ، وأنا أنظر؟

هذا هو حكم الإسلام واضح جلي في أنه لا يجوز حمل الناس على اعتناق ما لا يؤمنون به، لأن الدين هو إذعان النفس ، ويستحيل ان يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنما بالبيان والبرهان، لذا قل تعالى بعد نفي الإكراه" قد تبين الرشد من الغي"[٣٧].

[33] قراءة جديدة للسيرة النبوية للدكتور محمد روايس ١٤٦
[34] انظر رحمة اللهم للعالمين للمنصور فوري ٤٦٤/٣
[35] المائدة آية ٢
[36] البقرة آية ٢٥٦
[37] تفسير المنار ٣١/٣

وعلم من هذه الآية الكريمة ان سيف الجهاد المشروع في الإسلام، والذي لا يبطله عدل عادل، ولا جور جائر، لم يستعمل في يوم من الأيام للإكره على الدخول في الدين ولكن لحماية الدعوة الإسلامية، ولنشر العدل بين الناس، ولإخراج العباد من عبادة أمثالهم إلى الحرية المطلقة[٣٨].

جاء في خبر وفادة ربعي بن عامر على رستم قائد الفرس انه سأله : ما جاء بكم؟ فقال ربعي –رضي ا عنه– (ا ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة ا ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)[٣٩].

هذا يدلنا على ان المسلمين يعتقدن أنهم أصحاب رسالة، وأمانة يجب عليهم إبلاغها إلى الناس، فمن قبلها فهو أخوهم كائنا من كان، ومن رفضها فلا إكراه في الدين، ولكن لا يجوز أن يحال بين الناس وبين الاستماع إلى صوت الحق فإن لهم عقولاً، فإن قبلوا فبها، وإلا فهم في أمان وسلام في دار الإسلام، إذا التزموا بشروط المواطنة.

وهل هناك تسامح أكبر من أن يفرض الإسلام على اتباعه احترام دين الزوجات، ومن هم تحت سلطتهم، فمما ذكره فقهاء المسلمين من حقوق الزوجة الكتابية، جاء في كتاب المغني لابن قدامة ٢٢٣/١٠ ما يلي:-

١- ليس للمسلم إجبار زوجته الذمية على الاغتسال عند مالك والثوري ورواية عن احمد والشافعي، لأن الوطء لا يقف عليه.

٢- وإن أرادت شرب ما يسكرها فله منع المسلمة، لأنهما يعتقدان تحريمه، وإن كانت ذمية لم يكن له منعها منه –نص عليه احمد– لأنها تعتقد إباحته في دينها.

٣- وقال احمد في الرجل تكون له المرأة أو الأمة النصرانية يشتري لها زناراً؟ قال: لا، بل تخرج هي تشتري لنفسها. ليس له ان يمنعها من لبس الزنانير، وإن لم يجز له هو أن يلبسها.

---

(38) القاسمي ٦٦٥/٣ بتصرف

(39) البداية والنهاية ٣٩/٧

إذن نرى أن الإسلام يحترم الديانات الأخرى، حتى لو كانوا ممن تحت سلطة المسلمين، وعلى هذا الأساس عاملوا الذميين.

وأنقل هنا ما كتبه آدم متز المستشرق الألماني في كتابه القيم الحضارة الإسلامية ٧٥/١، يقول متز – إن اكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وبين أوروبا، التي كانت كلها على المسيحية في العصور الوسطى، وجود عدد هائل من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين، وأولئك هم (أهل الذمة) الذين كان وجودهم من أول الأمر حائلا بين شعوب الإسلام وبين تكوين وحدة سياسية. وقد ظلت كنائس اليهود والنصارى وأديرتهم أجزاء غريبة، واستند أهل ا لذمة إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود، وما منحوه من حقوق، فلم يرضوا بالاندماج في المسلمين، وقد حرص اليهود والنصاري على أن تظل دار الإسلام غير تامة التكوين، حتى إن المسلمين ظلوا دائما يشعرون أنهم أجانب منتصرون، لا أهل وطن، وحتى أن الفكرة الإقطاعية لم تمت، بل كان وجود النصارى بين المسلمين سبباً لظهور مبادئ التسامح عند المسيحيين، التي ينادي بها المصلحون المحدثون. وكانت الحاجة إلى المعيشة المشتركة، وما ينبغي ان يكون من وفاق، مما أوجد أول الأمر نوعاً من التسامح، الذي لم يكن معروفا في أوروبا في أوروبا في العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان، أي دراسة الملل والنحل على اختلافها، والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم.

٧ – نبذ العنف:-

يقول تعالى –مخاطبا نبيه الكريم صلى ا عليه وعلى آله وسلم– "فبما رحمة من ا لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على ا إن ا يحب المتوكلين"[٤٠].

وقد قعد رسولنا الكريم –صلى ا عليه وسلم– هذا الأمر بقوله وعمله، فقال "إن ا رفيق يحب الرفق، يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه"[٤١].

وتمثل ذلك في سيرته العملية، التي نقلت إلينا بالتواتر من ذلك ما روته عائشة رضي ا عنها – "استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك[٤٢] فقلت: بل عليكم السام

(40) آل عمران آية ١٥٩

(41) ميه [التاج الجامع للأصول ٥٨/٥]

واللعنة. فقال: يا عائشة إن ا رفيق يحب الرفق في الأمر كله فقلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت وعليكم"[(٤٣)].

ومنه ما رواه انس –رضي ا عنه– "كنت أمشي مع رسول ا ﷺوعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول ا ﷺ قد أثرت حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال ا الذي عندك، فالتفت إليه رسول ا ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء"[(٤٤)].

وعلى هذا فإنه من الظلم الكبير ما ينسب زورا وظلما إلى الإسلام من أنه يدعو أتباعه إلى الإرهاب، والاعتداء على الدماء والأعراض والأموال، بل الإسلام يدعو أهله إلى خلاف ذلك، قال رسول ا ﷺ "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر ما نهى ا عنه"[(٤٥)].

بل دعا الإسلام على الإحسان إلى الحيوان الأعجم، قال رسول ا ﷺ دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض"[(٤٦)].

ونبذ العنف لا يختص به الإسلام وحده ، بل جاءت جميع الرسالات السماوية بالحب والتعاون، والرحمة والصلة ولكن مما يؤسف له أن نجد الكثير من أتباع الديانات ينحرفون عن تطبيق مبادئ أديانهم السامية لأسباب كثيرة وبعد بحث طويل قمت به، وكان مدعوما من جامعة الكويت وجدت ان اكثر من ٨٠% من أسباب التطرف الديني لأن هناك تطرفا سياسيا كالنازية والدكتاتوريات وتطرفاً اقتصادياً كالشيوعية والمبالغة في الرأسمالية وتطرفاً اجتماعيا كالإباحية واللا أخلاقية وتطرفاً إعلامياً كالتعدي على أعراض الناس وأذية أسماعهم وإبصارهم باسم الحرية.الخ.

أقول: يعود أكثر التطرف الديني إلى الجهل بمبادئ الدين وأحكامه، وقد حذرنا رسولنا الكريم صلى ا عليه وسلم من ذلك فقال "ان ا لا يقبض العلم انتزاعا ، ولكن يقبض العلم

([42]) أي الموت
([43]) رواه البخاري رقم ٣٢٣١ ، ومسلم١٧٩٥
([44]) البخاري رقم ٥٨٠٩ ومسلم١٠٥٧
([45]) رواه البخاري رقم ١٠ ، والترمذي رقم ٢٦٢٧
([46]) رواه البخاري رقم ٣٣١٨

بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" (٤٧)

ولذا يعتبر عندنا نحن المسلمين من أشد الجرائم الدينية التكلم في مسائل الدين بدون علم يقول تعالى "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وان تشركوا با ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على ا ما لا تعلمون" (٤٨)

أي تفتروا عليه في التحليل والتحريم ،وهذا مثل قوله تعالى "ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على ا الكذب ، إن الذين يفترون على ا الكذب لا يفلحون" (٤٩).

هذه هي بعض منطلقات الحوار ومبادئ الوفاق بين أصحاب الحضارات كلها ، نسأل ا أن يعيننا على فهمها على أحسن وجه، والعمل بما علمنا.

والحمد رب العالمين،،

أ.د. محمد عبد الغفار الشريف

---

(47) رواه البخاري

(48) الأعراف آية ٣٣

(49) النحل آية ١١٦